

القوانين العرفية في المجتمع الأوراسي عرش إيغوسار أنموذجا دراسة أنثروبولوجية

The customary laws in the Aurassian society, Ghassira's arsh as a model, anthropological study

يزة عبد الناصر*، مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي في الجزائر، جامعة باتنة 1

abdenacer.yezza@univ-batna.dz

جمعة بن زروال، جامعة باتنة-1، benzeroualdje12@gmail.com

سليم درنوني، جامعة محمد خيضر بسكرة، s.dernouni@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2023/06/30

تاريخ القبول: 2023/06/02

تاريخ الإرسال: 2023/03/25

ملخص:

تقتضي التجمعات البشرية وجود أعراف وقوانين، يتم من خلالها تحديد المسؤوليات وإنزال العقوبات في إطار عقد اجتماعي أملتة مختلف الظروف الجغرافية، الإقتصادية، الثقافية والسياسية، التي ساهمت في تشكيل هذه التجمعات وتحاول هذه القوانين أن تسير تمظهرات الحياة الاجتماعية قصد صيانة المصالح المادية والمعنوية لفاعليها على المستويين الفردي والجماعي، إذ تحتكم المجتمعات التقليدية بجنوب الأوراس إلى جملة قوانين عرفية تلعب دور الضبط الاجتماعي من خلال بسط نفوذها على مختلف مجالات الحياة اليومية. عرش غسيرة واحد من هذه الأعراف بمنطقة أحمر خدو إذ تعهد للقوانين العرفية سلطة تنظيم مختلف العلاقات الاجتماعية سواء خلال الفترة الإستعمارية، الفرنسية أو ما تلاها بعد الإستقلال، وتأسيس المحاكم الرسمية للدولة الجزائرية، هذه الأعراف سايرت المشهد القانوني ولا تزال كذلك في عديد القضايا والمجالات.

الكلمات المفتاحية: العرش، غسيرة، التنظيم الاجتماعي، القانون العرفي، الأعيان.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

Human groups need to have an arsenal of laws and customs through theme responsibilities and penalties are defined by a social contract which is dictated by the various geographical economic cultural and political conditions, that contributed to the formation of these societies. These laws try to follow and protect the morals and materials of individual and collective social actors. Tribes in the south of Aures refer to a set of customary laws, which play the role of social control, by extending its influence on various areas of daily life. Tribe of Ghassira is one of these tribes in the Ahmer Khaddou region where the customs take the task of regularising social relations between actors, whether during the French colonial period or after the independence and the establishment of Algerian state these customs followed the legal scene and kept in touch with some of the ancients.

Keywords: Arsh, Ghassira, social organization, custom law, notables.

مقدمة:

تعد منطقة الأوراس تجمعا إثنيا عريقا بعباداته وتقاليده وأعرافه، أوجدتها عبر العصور سلسلة الثقافات والتمازجات العرقية وهي التي تكون اليوم كيانه الحالي، فالأوراس تسكنه أعراس أرست وجودها الحضاري على ضفاف الوديان وسفوح الجبال وعلى إمتداد السهول وتخوم الصحراء والواحات، مما جعل للجغرافيا دورا رئيسيا في بلورة فلسفة حياة مميزة لدى سكان الأعراس. نتناول في بحثنا هذا عرش إيغوصار بالأوراس الشرقي من خلال إستعراض القوانين العرفية التي يحتكم إليها لتنظيم مختلف العلاقات الإجتماعية بين أبناء العرش، فالسلالة النسبية والترابية تفاعلتا ضمن تشريع ثري وعريق لخدمة مصالح الإنسان الغسيري المادية والمعنوية.

الإشكالية:

إن تفاعل الإنسان مع بيئته وإستقراره ضمن معالم حدودية واضحة تجعله مبدعا في ذلك الإطار الجغرافي، وحريصا على كيانه لذلك يستوجب عليه إرساء قواعد قانونية تنظيمية تضمن له إستمرارية ثنائية الحقوق والواجبات، فمنها تتولد الأعراف وتأخذ مكانتها كفيصل في مختلف المنازعات والخلافات وكذا تنظيم المناسبات الإجتماعية المختلفة، فعرش غسيرة بجنوب الأوراس له تقاليد عرفية قانونية عريقة وتأتي إشكالتنا في هذه الورقة البحثية لتجيب على جملة تساؤلات وهي:

- فيما تتمثل القوانين العرفية لدى عرش غسيرة؟ وماهي المجالات التي كانت ولا تزال تحكمها؟

وهل لا تزال تلعب دور الضبط الإجتماعي أم لا؟

المقاربة النظرية والمنهجية:

للإجابة على الإشكالية المطروحة وقصد الوقوف على واقع القانون العرفي لدى عرش غسيرة في الفترة الإستعمارية، وفترة مابعد الإستقلال إتبعنا المنهج التاريخي إذ عدنا الى الدراسات الكولونيالية وبالتحديد إلى كتاب المرأة الشاوية بالأوراس للباحثة ماثيا قودري، الذي مكننا من الإطلاع على بعض القوانين العرفية التي كانت سائدة خلال سنوات العشرينيات من القرن الماضي، كما نزلنا إلى الميدان وقمنا بمقابلات مع بعض كبار السن من الفاعلين الإجتماعيين الذين يحفظون شفاهيا بعضا من تلك القوانين والتي تخص سنوات الأربعينيات وبداية الخمسينيات، أما فترة مابعد الإستقلال ونضرا للحالة الشفاهية التي تتواجد عليها جل القوانين العرفية بعرض غسيرة، أين قمنا بتنظيم سلسلة لقاءات مع مهتمين بالعرف الغسيري، سواء من الباحثين الأعيان بمجلس ثاجماث أين جمعنا القوانين العرفية المتعلقة بالفترة الحالية.

إلى جانب المنهج التاريخي إعتدنا في دراستنا على المنهج الوصفي الذي مكننا من وصف هذه القوانين المعتمدة في التشريع العرفي الغسيري، وبيان مجالات تواجدها، لننتقل بعدها إلى تحليل هذه القوانين والوقوف على أهميتها في جميع مجالات تواجدها، وذلك بعد تصنيفها وترتيبها ما سمح لنا بالخروج ببعض الإستنتاجات المتعلقة بموضوع الدراسة.

1. التعريف الجغرافي

يستوطن عرش غسيرة منطقة إغزر أملال (الوادي الأبيض)، وله حدود مع أعراس مجاورة فشمالا يحده عرش بني بوسليمان، وجنوبا قبيلة مشونش، وشرقا أولاد أيوب و أولاد عبد الرحمان كباش، أما غربا فيحده جيل أصفيح (بن إيدر، 2016، الصفحة 09). إبان الفترة الإستعمارية كان عرش غسيرة يقع ضمن حوز أريس القديمة، (بن زروال ومزياني، 18 ديسمبر 2021، الصفحة 27)، وحاليا يقع هذا العرش ضمن تراب بلدية غسيرة، التابعة إقليميا لولاية باتنة بحدود إدارية مع بلديات تيغانيمين ومنعة من الشمال والشمال الغربي، وبلدية مشونش ومزيرة من ناحية الغرب والجنوب الغربي، وشرقا بلدية تكوت التي هي مقر الدائرة، تترع على مساحة 23456 هكتار، بتعداد سكاني بقدر حوالي 7327 نسمة حسب الإحصاء العام لسنة 2008 (بن إيدر، 2016، الصفحة 9).

2. التعريف التاريخي

تعود الجذور التاريخية لتواجد السكان بمنطقة غسيرة إلى العصور القديمة، إذ تفاعل الإنسان من خلالها مع متطلبات كل فترة محافظا على كيانه وتماسكه وديمومته، وتشهد الآثار المتواجدة بمختلف مناطق تراب العرش على تعاقب عصور مضت من الرومان، والبيزنطيين، والحضارة العربية الإسلامية وحضارات تاريخية أخرى، فقد أهلها موقعها الجغرافي الحصين لتكون حصنا منيعا لزعماء أمازيغ صمدوا

ضد غزوات الأعداء، كما هو الحال لكل من ماسينيسا ويوغرطة الذين إتخذوا من غسيرة حصنا لهم في حروبهم ضد الرومان (بن زروال و مزياي، 18 ديسمبر 2021. الصفحة 28).

أرسى عرش غسيرة حياته على ضفتي الوادي الذي يحمل اسمه "وادي غسيرة"، وهو جزء من الوادي الأبيض وهم من أمازيغ قبيلة هواره ينقسمون إلى فرعين، فرع في الشرق وهم أولاد علاوة (السكان الأصليين)، وفرع في الغرب وهم أولاد الحاج وزاني. (بن زروال و مزياي، 18 ديسمبر 2021. الصفحة 29).

3. التعريف الطوبونيحي

تحمل كلمة غسيرة دلالات لغوية وتاريخية، تجعل اللولج إلى فهمها وتتبع أصل تسمية المنطقة بهذا الاسم سهلا لحد بعيد، فلغويا نجد أن الفعل الأمازيغي "ينغصر yenneyser" الذي يعني محاصر ومتضايق، ينسجم مع الإسم الأمازيغي للوادي (إغزر - iɣzer)، وهو حال التضاريس البارزة للوادي الضيق الذي يشق موطن العرش (ساعد، 2017، الصفحة 110).

أما تاريخيا فيذكر بروكوب المؤرخ اليوناني أن إسم غسيرة عرف خلال القرنين الرابع والخامس للميلاد، نسبة إلى القائد البربري غاسيرانوس إبان فترة العهد البيزنطي، وتم تعميم إسم غسيرة في عام 1863م بعد صدور قانون سيناتوس كونسيلت (بن زروال و مزياي، 18 ديسمبر 2021، الصفحة 26).

4. ساكنة غسيرة وتوزيعهم وتنقلاتهم

استوطنت قبيلة غسيرة على ضفاف الوادي الأبيض بدءا من وادي لخذارة أي تيفلفال شرقا إلى غاية كاف لعروس غربا (هنداوي، 2021، الصفحة 40)، فعلى إمتداد هذا المجال الجغرافي الواسع شيد الغواسير عدة قرى ومدائر وقلاع جماعية نذكر منها: تيفلفال، تاحمات، أولاد بوعكاز، أولاد ورياش، هابعليث، حيزة، غوفي وكاف لعروس، كما توجد تجمعات سكنية أخرى تقع على سفح جبل أحمر خدو وهي: بلعلی، أكركار، فورثني، دينار، بن خليل، إيساغيدن (جمعية أول نوفمبر، الصفحة 41). ينتقل سكان قبيلة غسيرة بين القرى والمدائر المقامة على ضفتي الوادي الأبيض، والمناطق الواقعة على سفوح جبل أحمر خدو.

5. الحياة الاقتصادية والثقافية لقبيلة غسيرة

1.5. الحياة الاقتصادية:

لعبت الجغرافيا بمختلف مظاهرها السطحية والتضاريسية وتدرجاتها المناخية، دورا حاسما في بلورة معالم الحياة الاقتصادية لقبيلة غسيرة، فقلة الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة وتذبذبات المناخ، جعلت من النشاط الإنساني الفلاحي يدمج بين الزراعة والرعي، في إقتصاد موجه بالدرجة الأولى لتلبية حاجيات الأسر المعاشية لا أكثر. إن تقسيم العمل بين الجنسين يظهر بوضوح من خلال إلزام الرجل بالأعمال الفلاحية، في حين تعهد للمرأة بعض النشاطات الحرفية وخدمات الأسرة، وتشكل

المقايضة أساس التعاملات التجارية في مواعيد إقتصادية قليلة، إرتبطت بالزيارات لمختلف الأضرحة والزوايا (Bourdieu, Page-page . 25-26).

هذا عن الفترة الإستعمارية، لكن بعد الإستقلال عرفت الحياة الإقتصادية توجهات أخرى، أملتها مختلف السياسات التنموية المنتهجة من قبل الدولة الجزائرية، ما جعل أقطابا تنموية تظهر وتزدهر كما هو الحال في غوفي، إضافة إلى التوجه نحو النشاطات الحرفية المختلفة.

بلغ عدد سكان غسيرة عام 1926 حوالي 3615 نسمة (Mathéa, 1998, Page. 22)، وتمتد أراضي القبيلة على مساحة تربو عن 20 000 هكتار (Delartigue, 1904. Page 176)، بكثافة سكانية بلغت 11 نسمة في الميل المربع الواحد (جمعية أول نوفمبر، الصفحة 46).

تتنوع ملكية الأراضي لدى أهالي قبيلة غسيرة، إذ يمكننا الوقوف على عدة أشكال للتملك فمنها أراضي ذات ملكية فردية ومشاعة، إضافة إلى أملاك الوقف، والأملاك المحتسبة على الذكور دون الإناث، وتقع هذه الأراضي في مناطق مختلفة من موطن القبيلة إذ نجد منها: الصخرية، والسهلية، والجبليّة، والصحراوية. يمارس الأهالي مختلف النشاطات الإقتصادية اليومية من زراعة ورعي وحرف تقليدية ومبادلات تجارية فيما بينهم ومع الأعراش المجاورة لهم، إذ تعد زراعة النخيل نشاطا مميزا في الواحات المسقية الممتدة على طول ضفتي وادي غسيرة، مع تخصيص مساحات لبساتين الرمان، التين، المشمش، البرتقال، الليمون والزيتون (جمعية أول نوفمبر، الصفحة-الصفحة 80-83).

أما المناطق الجبلية بأحمر خدو، فهي مخصصة لزراعة القمح والشعير الذي يتم تخزينه بمختلف القلاع التي تملكها قبيلة غسيرة، كقلعة حيزة، تاشنطورت، أولاد بوعكاز، أولاد ورياش، أولاد إيدير... يعتمد السكان في سقي الأراضي الفلاحية على شبكة من القنوات لإيصال المياه إلى البساتين، وعلى السدود الجماعية والأحواض المائية وكذا الآبار ذات الملكية الفردية والجماعية، أين تتم الإستفادة من حصص المياه الموجهة للسقي والخاضعة لتوزيع عادل معتمد من طرف المالكين، وترعاها مؤسسة تجماعت بقوانينها العرفية المخصصة لذلك. فإلى جانب النشاط الفلاحي المعاشي يقوم الإنسان الغسيري برعي قطعان الماعز لتأقلمها مع البيئة والمناخ، زد على ذلك نشاط تربية النحل بطرقه التقليدية والحديثة والذي تشتهر به منطقة بلعلي وإيساغيدن.

للنشاطات الحرفية إسهام في حياة سكان قبيلة غسيرة، إذ تتنوع بين صناعة الطين والحلفاء والجلود والدباغة والمطاحن المتواجدة عبر تراب القبيلة. توفر كل هذه الصناعات سلعا مختلفة يتم عرضها للبيع في مختلف المواعيد التجارية إما بالمقايضة أو نقدا، ويعد سوق عيد الخريف بتكوت ملتقى تجاري بامتياز، يجمع خلال أيام إقامته مختلف الأعراش الأوراسية (بن زروال ومزياني، 18 ديسمبر 2021، الصفحة-الصفحة 36-40).

بعد الإستقلال زاد النشاط الإقتصادي إتساعا وتنوعا، كالخدمات السياحية بغوفي، تابعليث، حيزة، وكاف لعروس، كما أن تجارة الجملة للمواد الغذائية والعطور، والألبسة شكلت جزءا من النشاط المتوجه إليه، إضافة إلى ولوج الكثير من الشباب إلى عالم التجارة بفتح ورشات لصناعة النجارة والأسرة الخشبية وتجهيزات المنازل، إلى جانب الإهتمام بحرفة الصياغة خاصة الذهب.

2.5. الحياة الثقافية :

إستطاع الإنسان الأمازيغي أن يحافظ على عاداته وتقاليده ولغته في العديد من المناطق الجبلية التي شكلت حاجزا طبيعيا منيعا، سهل عملية الحفاظ عليها وديمومتها، ومنطقة الأوراس واحدة من هذه المناطق فسكانها يتكلمون اللهجة الشاوية. (غرينة، 2009-2010، الصفحة. 30).

قبيلة غسيرة واحدة من القبائل الأوراسية التي يستعمل سكانها اللهجة الشاوية كلغة المعاملات اليومية، فم هذه اللغة مارس الإنسان الغسيري حياته الثقافية، من أدب شفهي كالحكايات والأساطير والألغاز والأغاني الثورية. كما أن حضور اللغة العربية إرتبط بإعتناق السكان للدين الإسلامي، الأمر الذي ساهم في إقامته العديد من الزوايا: كزاوية سي عبد المؤمن التي كانت منبع العلوم الصوفية، ومحطة لكثير من فقهاء المذهب المالكي كالعلامة الشيخ عبد الرحمان الأخضر، الذي ألف منظومة الدرة البيضاء في الفرائض والحساب عام 1524م في زاوية بلعلی (بن إيدير، 2016، الصفحة. 66).

كما نجد طلبة نجباء من أبناء قبيلة غسيرة، قد إلتحقوا إلى مقاعد الدراسة بالجامع الأخضر عام 1934م ونخص بالذكر الطالبين: محمد بن أحمد المنصوري الغسيري، وعمار بن الجودي بن حركات (زوزو، 2017، الصفحة. 179).

ومع ظهور الحركة الإصلاحية بالأوراس خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، برزت شخصية محمد الغسيري الذي يعد أحد أبناء القبيلة الذي كرس حياته كمعلم ومصلح (بن الصغير، 2008-2009، الصفحة. 46).

بعد الإستقلال ساهمت نخبة من أبناء قبيلة غسيرة في تطوير الحركة الثقافية والتعليمية بالجزائر، ولعل أبرزها الأستاذ سعدي بزبان الذي عمل بال مجال الصحفي بباريس، واهتم بواقع وهموم المهاجرين الجزائريين بفرنسا ما بين سنوات 1977 إلى غاية 2010م (بن زروال و مزاني، 18 ديسمبر 2021، الصفحة. 291).

6. التنظيم الإجتماعي والسوسيو-سياسي لقبيلة غسيرة

1.6. القبيلة والعرش:

تطرقت الدراسات التاريخية والإجتماعية والأنثروبولوجية عند تناولها للمجتمعات المغاربية إلى كل من القبيلة والعرش، لما لهما من سلطة تنظيمية وإستقلالية في تسيير شؤون الأهالي، فقد كان الجانيس

(القبيلة gens) منظومة إجتماعية معترف بها كما هي، ولها في نفس الوقت شخصية قانونية وإستقلالية دينية ولها أعرافها الخاصة المعترف بها في فترة الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا (عقون، 2019، الصفحة. 355)، فتاريخية التنظيم الإجتماعي لمجتمعات المغرب القديم، إنتقل من شكل العائلة الموسعة ليشكل ما يعرف بالعشيرة أو القبيلة، فهذا التنظيم الإجتماعي فرضته ظروف مختلفة مما جعل الأعراس تتشكل عن طريق التحالف أو الجوار، فالنزوح نحو الإستقلالية والتضامن والإرتباط الوثيق بالأصول أدى إلى تكون مختلف التجمعات التي قامت بحماية نفسها وفرض إحترام موروثها الحضاري (أسبينيون، 2007، الصفحة. 15).

يعرف إيفانس بريتشارد القبيلة بأنها: " أوسع مجموعة يشعر أعضاؤها بواجب التكتل من أجل الغزو والدفاع" (بنسالم وآخرون، 2007، الصفحة. 13). أما بيار بورديو في معرض تحليله للمجتمع الأوراسي، إعتبر أن العرش هو أعلى تنظيم سوسيو سياسي في هرم النظام الإجتماعي الأوراسي وأن ثارفيقت tarfiqt هي الوحدة الأكثر حيوية داخل التنظيم (Bourdieu, page. 27).

ونحن سنتطرق في عرضنا هذا إلى التنظيم الإجتماعي والسوسيو-سياسي لقبيلة غسيرة.

2.6. عدد الفرق المكونة للقبيلة:

تتكون قبيلة غسيرة من ثلاثة عشر عرشا وهي: آث يحي، آث منصور، آث ميمون، آث سليمان أومنصور، آث فاتح، آث ورياش أو آث سلام، الشرفة، آث عابد، آث ايدير، آث أهلال، آث بوعكاز، أيت سي حمد، آث مسعودة، واخذرين (بن ادير، 2021). هذا ما يتعلق بالأعراس المشكلة للقبيلة، أما عن هرمية التنظيم الاجتماعي لها فيمكن لنا توضيحه على النحو التالي:

- المستوى الأول: يظم العائلة الموسعة (tawya tmirawt) ويعتبر قاعدة الهرم التنظيمي.
- المستوى الثاني: يتشكل من اتحاد عدة عائلات ويحمل تسميات تختلف من عرش لآخر داخل القبيلة الأم، إذ يسمى تيفذنين tifednin أو تاجريت tajridt أو ثارفيقت ثاندایت tarfiqt tanneddayt.
- المستوى الثالث: ويتكون من اتحاد تنظيمات المستوى الثاني حسب كل عرش ليعطي ما يسمى ثارفيقت tarfiqt.
- المستوى الرابع: ويتشكل من اتحاد ثيرفين ليكون العرش.
- المستوى الخامس: ويتشكل من اتحاد الأعراس الأربعة عشر ليكون قبيلة غسيرة.

3.6. نظام تاجماعت والأعيان في قبيلة غسيرة:

أ/ هاجماعت: تسمى تاجماعت وهي مأخوذة من اللغة العربية جماعة، وتحمل أسماء أخرى في اللغة الأمازيغية مثل: آث ربيعن، إذ تملك كل قبيلة تاجماعت خاصة بها وتملك مختلف السلطات

التشريعية والقانونية، وهي بمثابة الجمعية العامة للقرية، وتتكون من كل شخص بالغ لسن الرشد وتنعقد تلك المؤسسة عادة مرة في الأسبوع سواء في الساحة العمومية للقرية أو في مكان مخصص لها خلال السوق الأسبوعي (بن شيوخ ملوينا، 20010. الصفحة 64). يجتمع أعضاء القبيلة الأمازيغية لينتخبوا ممثلين لهم في تاجماعت ينوبون عن مختلف الفرق المكونة للقبيلة.

لم تتطرق الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية خلال العهد الإستعماري إلى تفاصيل تاجماعت في المجتمع الأوراسي ومكوناتها وكيفية عملها وما أنجزها نوتو ولوتورنو كان خاصا بمنطقة القبائل، وما القليل النادر الذي أورده إيميل ماسكورا في معرض دراسته عن تشكل المدن لدى الأمازيغ المستقرين بالأوراس، جرجرة وميزاب وما تطرقت إليه الباحثة ماثيا قودري في دراستها للمرأة الشاوية بالأوراس، إلا ذكر فقط لتاجماعت كمؤسسة سياسية اجتماعية داخل التنظيم الخاص بالمجتمعات المدروسة.

ما قيل عن هذه الدراسات في الفترة الإستعمارية، يقال عنها في فترة ما بعد الإستقلال، إذ لم تتناول تفاصيل ودقائق مؤسسة تاجماعت الأوراسية، فكان لزاما علينا النزول إلى الميدان وتنظيم مقابلات مع مختلف الفاعلين الاجتماعيين العارفين بالمؤسسة قديما وحديثا، واستطعنا أن نرسم معالم هذه المؤسسة في مجتمع غسيرة.

ب/ الأعيان: خلال الفترة الاستعمارية لأربعينات القرن الماضي كان كل عرش من أعراس القبيلة يملك تاجماعت خاصة به وكانت العضوية فيها لأعيان هم من أبناء العرش ويعود هذا الإتفاق التمثيلي إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية المتراسة والتي أملتها الظروف الإقتصادية والفكرية وسلسلة الأنساب بين العائلات على الرغم من الإنتماء إلى قبيلة غسيرة الجامعة. أما بعد الإستقلال وإلى غاية اليوم فإن تاجماعت في المجتمع الغسيري أخذت شكلا آخر وتنظيمة جديدة، إذ أصبحت مؤسسة تاجماعت تضم أعيانا من مختلف أعراس القبيلة يقومون بحل مختلف القضايا التي تعرض عليهم وكذا التشريع لعدد الحالات والظواهر الجديدة.

إن العضوية في تاجماعت له خصوصياته ومميزاته فهي ليست نتاج عرض لبرنامج سياسي بل هو تركيبة إجتماعية تكون كتنويع لمسار قيم وفضائل عديدة من شهامة وأنفة كرم نبل، فحولة، فصاحة لسان، حكمة ومواقف صارمة في أكثر مناسبة يظهرها أفراد معينون في القبيلة ما يجعلهم محاطون بهالة إجتماعية تشع بالتقدير والإمتنان لسداد الرأي والصواب، زد على ذلك الوقار والوعي الديني والإمام بأحكامه وسننه فيكون حضور هذا الشخص خلال مناقشة القضايا الخاصة بالقبيلة أكثر من ضرورة فيرتاح الجميع لوجوده هذا، ما يجعله يكسب العضوية في تاجماعت ضمن عقد إجتماعي معنوي. لا تعد صفة العضوية في تاجماعت قبيلة غسيرة أمرا وراثيا كما أن العنصر النسوي مقصي من التمثيلية في المجلس فهو ذو صفة رجولية خالصة.

7. تعريف القانون العرفي

يعرفه المشرع الفرنسي *planioi* بأنه " ذلك القانون الذي لم يصدر أبدا عن هيئة تشريعية، فهو يتكون من قواعد العادة التي تكونت شيئا فشيئا مع مرور الزمن" (بن شيع اث ملويا، 2001. الصفحة 41). أما عند الأمازيغ فله أسماء عديدة: إيزرف *izref*، اللوح *lluḥ*، ثيعقيذين *ti&eqidin*. عند آيث عطا، ويقوم القانون العرفي بتنظيم الحياة الخاصة والعامة لأفراد المجتمع الأمازيغي الذين ينضون تحت لواء القرية أو القبيلة (EL Khatir. page 5). ويتمثل في التكوين التلقائي لتجمع زمني للعادات وكل ما هو معتد به من قبل السكان، فالتقبل العام للقانون العرفي هو منبع القوة الإلزامية له (بن شيع اث ملويا، 2001. الصفحة 46).

تتداخل العلاقات الاجتماعية وتتشابك المصالح المختلفة الفردية والجماعية المادية منها والمعنوية داخل المجتمع الغسيري، وتضمن الأعراف والعادات والتقاليد سيرورتها ضمن عقد اجتماعي يقوم على احترام العرف وترسانته القانونية التي ترعاها مؤسسة تاجماعث، فالقوانين العرفية تكون نتاج ممارسات إجتماعية أفضت معانياتها وتحاليلها إلى صياغة قانون يتحكم في وجودها، أين يرضخ الأفراد لسلطتها ويقومون سلوكهم تماشيا مع روحها. وتغطي هذه القوانين مختلف مجالات الحياة في مجتمع غسيرة ففي المجال الاجتماعي نجدها مسائل الزواج، الطلاق، الضرب، الجرح، الاعتداء، السرقة، القتل والشرف، وكذا العشرة والمجاورة. كما يختص العرف في المجال الإقتصادي بمواضيع الزراعة وتقسيم المياه والرعي في أراضي العرش المشايعة ونظام الخماسة، وعقود البيع والشراء، والكراء والدين، ومختلف المبادلات. أما في المجال الثقافي والديني فيقف العرف بقوانينه في وجه مختلف الممارسات كإنتهاك حرمة شهر رمضان، شرب الخمر، الزنا، الخيانة الزوجية، وكذا التعدي على حرمة الأملاك الوقفية والزوايا (بن ادير، 2021). كما أن العرف ينتقل من جيل إلى آخر، وعبر إمتداد السنين، بالتقليد الشفوي وبطبق على كل ما يخص الإنسان الأمازيغي، كالأحوال الشخصية والعقارية والإرثية والعقود وعلاقاته مع نظرائه. (أسبينيون، 2007. الصفحة 23)

فعند أعراش قبيلة غسيرة تحفظ القوانين العرفية عن ظهر القلب من خلال تداولها بين الأعيان الممثلين لمختلف الفرق، ونحن في هذه الورقة البحثية سنستعرض نماذج لقوانين عرفية خاصة بالقبيلة تشمل فترتي الإحتلال الفرنسي وفترة ما بعد الإستقلال، وإعتمدنا في ذلك على ما كتبتة الباحثة ماتيا قودري عن المرأة الشاوية بالأوراس في عشرينيات القرن الماضي وبعض المقابلات الميدانية مع شيوخ كبار لا تزال ذاكرتهم تحفظ هذه القوانين في مجالات مختلفة.

8. نماذج عن القوانين العرفية لقبيلة غسيرة في الفترة الإستعمارية

1.8. المجال الاجتماعي:

- بلغت قيمة المهر في القبيلة سنة 1920 حوالي 200 فرنك، تسدد قيمة المهر المحددة إما نقداً أو على هيئة أملاك مثل: الماعز، الغنم، القمح، الشعير، والتمر، ويمكن تقديم نصف مبلغ المهر مع الوعد بإكمال النصف الآخر، ويكون ذلك أمام مجلس تاجماعث كشهود على ذلك (Mathéa, 1998. Page 84)

- في حالة الخلاف بين الرجل وزوجته تلجأ الزوجة لبيت أبيها تاركة عش الزوجية، وبعد الصلح بينهما على الرجل تقديم وجبة عشاء بدعوة عائلة الزوجة لمأدبة جماعية (Ahmed, 2020).

- المرأة التي تطلب الطلاق تلجأ إلى بيت والدها وبعدها تختار إما استشارة تاجماعث أو الاحتكام إلى القاضي (Mathéa, 1998. Page 112).

- في حالة الضرب وإصابة العينين تحدد قيمة الضرر بمقدرة المتضرر على رؤية الأشياء التي يتم اختبارها أمام أعيان تاجماعث، وبعدها يتم تقييم الضرر والتعويض المادي (Ahmed, 2020).

- من اقترف جريمة القتل يتم نفيه من القبيلة وبعدها تحرق أملاكه من بساتين ونخيل كما يهدم بيته (Mestfa, 2020).

- من دخل بستانا وقام بسرقة فإنه يحاسب على عمليتين (Mestfa, 2020):

* انتهاك حرمة البستان كقضية أولى.

* تحدد قيمة المسروقات كقضية ثانية.

- في حالة كسر أشجار أثناء سرقة البساتين تقوم تاجماعث بحساب الأغصنة المتكسرة وتقييم الضرر بعد ذلك ماديا (Ahmed, 2020).

- المرأة التي حملت بعد علاقة غير شرعية خارج الزواج تطرد من العرش إذ تلجأ لأعراس مجاورة إلى أن يتم بيان والد المولود وبعدها تعود إلى القبيلة، أين تقوم تاجماعث بتغريم الزوجين الأب والأم ويلزم الزوج بتقديم وجبة عشاء لفائدة العائلتين وأعيان مجلس تاجماعث (Ahmed, 2020).

- لا يتم توريث الإناث في قبيلة غسيرة عموماً كما هو الحال في جل الأوراس (Tillion. Page 294).

2.8. المجال الاقتصادي:

- لا يتم بيع الأراضي للأجانب عن القبيلة وبيعها يكون باحترام النسب العائلي وتدرجاته (بن ادير، 2021).

- الشخص المكلف بمراقبة سريان المياه وتنظيم البساتين يسمى "أخطاط ن تبجيرين" له كافة الصلاحيات لدخول البساتين أثناء ممارسة مهامه (بن ادير، 2021).

- انجاز السد الجماعي الموجهة مياهه للسقي يكون بحضور كل المالكين للأراضي في إطار عملية توزيعه أثناء الانجاز (بن ادير، 2021).

- كل مالك للأرض ينجز قناة السقي الخاصة به أمام ملكه (Ahmed, 2020).

- يستطيع مالك بستان أن يبيع مياه السقي الخاصة به لملك آخر، لكن عليه إخبار ثاجماعث وأخطاط ن تبخيرين (بن ادير، 2021).

- يحترم الرعاة مبدأ أجمو Ajmu بوضع حدود الأراضي الرعوية وكذا تحديد الوقت لبداية عملية الرعي وتكون بداية شهر ماي (بن ادير، 2021).

- في حالة الإخلال باتفاق أجمو يغرم الراعي حسب درجة الضرر أمام ثاجماعث (Ahmed, 2020).

- من أراد كراء أرضه أو مرعاه الخاص به عليه أن يعرض ذلك على جاره في الأرض (Ahmed, 2020).

- يتم عقد بنود إتفاقيات الكراء غالبا أثناء سوق عيد الخريف بتكوت أيام 27، 28، 29 أوت من كل عام (بن ادير، 2021).

- يختار كل عرش حارس القلعة ويتقاضى أجره من قمح وشعير وتمر (Mesřfa, 2020).

- إذا كان الشخص المستأجر لأرض معينة ينتهي لقبيلة غير قبيلة غسيرة فإنه لا يستطيع الاستفادة من روث الغنم بل يترك للمالك الغسيري، وإن كان غسيريا فإن المستأجر يستفيد من تلك الخدمة (بن ادير، 2021).

3.8. المجال الثقافي والديني:

- من لا يحترم مؤسسة ثاجماعث ويضرب عرض الحائط القوانين العرفية يتم عزله عن القبيلة وتنبأ منه ولا تدافع عنه (بن ادير، 2021).

- تقوم ثاجماعث بتغريم كل من يقدم على إنتهاك حرمة رمضان ويتم عزله إجتماعيا وقطع التواصل معه (Ahmed, 2020).

- يتم تغريم كل من يقدم على شرب الخمر سرا أو علانية (بن ادير، 2021).

- كل من يتلفظ بكلام فاحش تجاه الدين الإسلامي يتم تغريمه أمام ثاجماعث (Ahmed, 2020).

- كل من ينتهك حرمة مسجد أو زاوية أو مدرسة قرآنية يتعرض إلى تغريم من قبل ثاجماعث (Ahmed, 2020).

9. نماذج عن القوانين العرفية لقبيلة غسيرة في الفترة الحالية

1.9. المجال الاجتماعي:

- تبلغ قيمة المهر الحالية لقبيلة غسيرة 30 مليون سنتيم وذلك سنة 2020 (بن ادير، 2021).

- في حالة خلاف بين الزوجين وتفاديا للطلاق تطرح القضية على مجلس أعيان ثاجماعث التي تقوم بعملية الصلح (عثماني، 2022).

- في حالة الطلاق يتم إبلاغ ثاجماعث بذلك لتنظر المحكمة بعد ذلك في القضية ويتم فيها الطلاق بالتراضي (بن ادير، 2021).

- في حالة الضرب يقوم مجلس ثاجماعث بتقدير قيمة الضرر بناء على الشهادة الطبية ودرجة العجز التي يقرها الطبيب (Ahmed, 2020).

- في حالتي القتل عن طريق الخطأ أو القتل العمدي تقوم مؤسسة ثاجماعث بالوقوف على تطبيق إجراءات تسديد الدية المقررة عرفا في حين تتولى المحكمة الإجراءات القضائية المناسبة لأنها ليست من اختصاص ثاجماعث (عثماني، 2022).

- من أقدم على سرقة بستان فإنه يعاقب على فعلين (بن ادير، 2021):
* انتهاك حرمة البستان.

* يتم تحديد كمية ونوعية المسروقات وكذا درجة إتلاف الأشجار والمزروعات، بعدها يعلن عن مبلغ التعويض بناء على مؤشر السوق.

- من أقدم على سرقة منزل فإنه يحاكم بقضيتين (بن ادير، 2021):
* انتهاك حرمة المسكن.

* يتم جرد المسروقات وتقرر قيمة التعويض.

2.9. المجال الإقتصادي:

- باستطاعة المالك الغسيري أن يبيع أملاكه لمشتريين خارج قبيلة غسيرة كما يمكن لبعض الأقارب المقربين أن يحتكموا لمبدأ الشفاعة في عملية البيع (خذري، 2022).

- لا يتم توريث الإناث عرفا، إذ يتم توريث الإناث حسب درجة الوعي الديني للعائلات بتجاوز العرف المتداول (بن ادير، 2021).

- إذا إشتراك مجموعة من الفلاحين في حفر بئر إرتوازية فعلى كل مالك للأرض أن يدفع مبلغ الإشتراك في الحفر وبعدها يحدد بالوقت نصيب كل مالك من مياه البئر. يكلف شخص بالسهر على إحترام برنامج السقي والحصص المخصصة لكل مالك مشترك في البئر، ويعاقب كل من يعيق عمل المكلف بالمياه ويتعرض لعقوبات تقرها جماعة المالكين (بن ادير، 2021).

- عند كراء أراضي العرش الجماعية قصد الرعي فإن توزيع نصيب كل عائلة يتم حسب مساحة الأراضي المملوكة (Ahmed, 2020).

3.9. المجال الثقافي والديني:

- في حالة السب والشتم و الإهانة تعرض القضية أمام مجلس ثاجماعث لتقرر بعدها بقيمة التعويض المادي وعقد الصلح بين المتخاصمين (خذري، 2022).
- شرب الخمر وانتهاك حرمة رمضان والزنا من اختصاص الجهات الأمنية (بن ادير، 2021).

10. أهمية القوانين العرفية في قبيلة غسيرة

1.10. الناحية الإجتماعية:

كيف العرف الغسيري تشريعاته وفق نمط حياة الأهالي وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم العقائدية، مراعي في ذلك الحفاظ على النسيج الاجتماعي والعلاقاتي بين أفرادهم ببيان حقوق وواجبات كل طرف، فأعراف الزواج حددت المهور ومستلزمات القران صونا للعلاقة الزوجية واضعة بذلك حدا لمختلف مظاهر التباهي والطبقية، كما شرعت بالتوازي لحالات الطلاق بتحديد ما لكل طرق وما عليه دون الإغفال عن التشريع لما يتعلق بكفالة الأبناء.

فتحت التشريعات العرفية في قبيلة غسيرة المجال أمام مبادرات الصلح بين الزوجين تجنباً للطلاق، إذ يكتسي مبدأ الوساطة والتشاور والحوار بين العائلات لصيانة الود بين الزوجين أهمية بالغة، إذ تراعي فيه ثاجماعث المصلحة العليا للرابطة الزوجية ومستقبل الأبناء قبل أي قرار بفسخ عقد الزوجية وإعلان الطلاق إجتماعيا.

لم يغفل المشرع الغسيري عن التبويب العرفي لقضايا السرقة والضرب والجرح إذ خصها بغرامات مالية حسب نوع المخالفة مراعي في المقام الأول الحفاظ على العلاقات الإجتماعية ضمن مبدأ بالتالي هي أحسن stayehlan، مع التذكير أثناء حل المنازعات بمبادئ الأخوة والتسامح والحياة المشتركة في أحضان القبيلة ما يجعل العلاقات تحتفظ بليونتها دون بلوغ درجات العداء والمعاملة بالمثل.

2.10. الناحية الإقتصادية:

تلعب ثنائية الجغرافيا والإقتصاد دورا رئيسيا في خلق منظومة قانونية مرافقة لعمليات إستغلال ما يوجد به سطح وجوف ومناخ موطن غسيرة لأهاليه سياتهم، إذ تبسط القوانين العرفية سلطتها على طرق إستغلال الأراضي سواء تعلق الأمر بأراضي ضفقي وادي غسيرة ومحيط المدشر إلى الأراضي الجبلية ببورها ومراعيا، وصولا إلى تخوم الصحراء أين تظهر السمة المشاعية للملكية بها. فعلى إمتداد هذا التدرج الترابي المتنوع الفقير نوعا ما للخصوبة والقابلية للإستغلال تمتد القوانين العرفية لتكون الفيصل في بيان طرق الإستفادة والإستغلال ضمن مبدأ مراعاة المصلحة الفردية والجماعية في آن واحد. حيث أن توزيع المياه وخدمة الأحواض الجماعية والسواقي وإحترام شبكة المسالك والطرق، تخضع لتشريعات عرفية تراعي فيها معايير الملكية وحجمها، فمن خلالها تتحدد واجبات المساهمة الخدماتية للمالكين كما لأعمال الخماسة والشراكة مجالها التشريعي، إذ يستفيد كل المتعاقدين على نصيب نظير

جهدهم المقدم. في هذه البيئة الشحيحة التي تندر فيها الأراضي الجيدة القابلة للاستغلال، يتزوج العرف مع النظام الإيكولوجي ذو الأبعاد الاقتصادية من خلال تشريعات تمس أراضي البور والعطيل وكذا تنظيم عمليات الرعي، بإحترام مواعيد إطلاق القطعان في الأراضي الرعوية المشاعية، أين تحتكم مختلف العشائر إلى مبدأ أجمو Ajmu.

تصون أعراف البيع والشراء والكراء مختلف التعاقدات والعمليات التجارية والمبادلات بين أفراد القبيلة، كما أن لمبدأ الشفاعة دور فعال في سريان عمليات البيع أين يتم إحترام الترابية النسبية.

3.10. الناحية الثقافية والروحية:

تشكل العقيدة الإسلامية جوهر الحياة الروحية والثقافية لأبناء القبيلة، لذا لم تغفل مؤسسة ثاجماعت عن التبويب لمختلف السلوكات والظواهر التي تمس بحرمة المساجد والزوايا والمدارس القرآنية، كما أنها توقع عقوبات ضد منتهكي حرمة رمضان والقذف والسب والشتيم. عززت الأعراف الغسيرية مبدأ تويزة الذي يمثل مبادئ التضامن الإجتماعي والتكافل إذ تنجز كثير من الأعمال ذات المنفعة العامة بالاحتكام لهذا المبدأ.

خاتمة:

إستطاعت التشريعات العرفية في قبيلة غسيرة أن تسن قوانين تتماشى مع خصائص البيئة الثقافية والإجتماعية والإقتصادية لأهلها، مراعية في ذلك مبدأ الحفاظ على نسيج العلاقات الاجتماعية بين العائلات ومختلف الأعراس المكونة للقبيلة، الأمر الذي سمح بصيانة مختلف المصالح الفردية منها والجماعية وكذا المادية والمعنوية لأبناء القبيلة. وتمتلك مؤسسة ثاجماعت السلطات التشريعية والتنفيذية إذ تعد حجر الزاوية داخل المنظومة القانونية العرفية للقبيلة، فعلمها تعرض مختلف القضايا والمنازعات للبت فيها، إذ يجتهد الأعيان من خلال خبرتهم ومعرفتهم بدقائق المدشر الغسيري عملاً بمبدأ "بالتى هي أحسن" sta yehlan إلى عقد مجالس الصلح وفض الخصومات ببيان المسؤوليات وتوقيع العقوبات. إن قيام الدولة الوطنية وتأسيس المجالس القضائية الرسمية، جعل مؤسسة ثاجماعت تتراجع في إستحواذها على المشهد القانوني فعدد القضايا لم تعد من إختصاصها بل صارت تعهد للمؤسسات الأمنية التي تأخذ على عاتقها مهمة متابعة القضايا، فرغم تقلص نفوذ سلطة ثاجماعت إلا أن مجالات عديدة لا تزال ميداناً لها كتحديد قيمة المهر وكذا بيان تفاصيل إقامة الأعراس زد على ذلك مسائل استغلال مياه السقي والرعي والبستنة.

لقد تفاعل الإنسان الغسيري مع تاريخه وثقافته ومحيطه مترجماً آماله في إطار أعراف غذتها تجربته الطويلة وحكمة أعيانه، وما تواجد العرف بجانب القوانين الرسمية للدولة إلا سيرورة طبيعته لتاريخية القانون والتنظيم الاجتماعي التي تأخذ نفسها جديداً في كل مرحلة.

قائمة المراجع والمصادر:

- الجموعي خذري. (11 02, 2022). القانون العرفي الحالي في غسيرة. (يزة عبد الناصر، المحاور العربي عقون. (2019). من التاريخ البلدي للجزائر القديمة خلال العهد الإمبراطوري الأول الكنفدرالية السيرتية. قسنطينة: نوميديا.
- النوي بن الصغير. (2008-2009). الحركة الإصلاحية في الأوراس محمد الغسيري أنموذجا 1930-1974. جامعة منتوري قسنطينة.
- جمعة بن زروال، و محمد (اليمين) مزياني. (18 ديسمبر 2021). مسيرة كفاح ثائر من جنوب الأوراس المجاهد علي مزياني (علي بعله). بسكرة: دار علي بن زيد للطباعة والنشر.
- خديجة ساعد. (2017). الطبونيميا الأمازيغية. بسكرة، الجزائر: دار النشر أنزار.
- روبير أسبينون. (2007). أعراف قبائل زيان. (المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المحرر، و محمد أوراغ، المترجمون) الرباط، المغرب: مطبعة المعارف الجديدة.
- عبد الحميد زوزو. (2017). الثقافة والتعليم الحر و الرسمي في العهد الفرنسي. الجزائر: دار هومة.
- عبد الرحيم بن ادير. (12 04, 2021). القانون العرفي في غسيرة. غسيرة.
- عبد الرحيم بن إيدر. (2016). : نافذة على تاريخ غسيرة. بسكرة: انزار.
- عبد النور غرينة. (2010-2009). الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939م. باتنة.
- عبد الحميد عثمان. (11 02, 2022). القانون العرفي الحالي في غسيرة. (يزة عبد الناصر، المحاور عبد الرحيم بن يدير. (2016). نافذة على تاريخ غسيرة. بسكرة: انزار.
- في الأوراس جمعية أول نوفمبر. تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837-1954م.
- لحسين بن شيع اث ملويا. (2001). القانون العرفي الأمازيغي. الجزائر، الجزائر: دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع.
- ليبيا بن سالم، و وآخرون. (2007). الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي. (عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار طوبقال للنشر.
- محمد هنداي،. (2021). مذكرات ثائر من الأوراس. بسكرة: دار علي بن زيد للطباعة والنشر.
- ABOULKACEM EL Khatir. Droit coutumier amazigh face aux processus d'institution et d'imposition de la législation nationale au Maroc .
- Colonel Delartigue. (1904). Monographie de l'Aurès. Constantine.

Gaudry Mathéa .(1998) .La femme chaouia de l'aurès .CHIHAB-AWAL.

Germaine Tillion .(2000) .il etait une fois l'ethnographie .Edution du seuil.

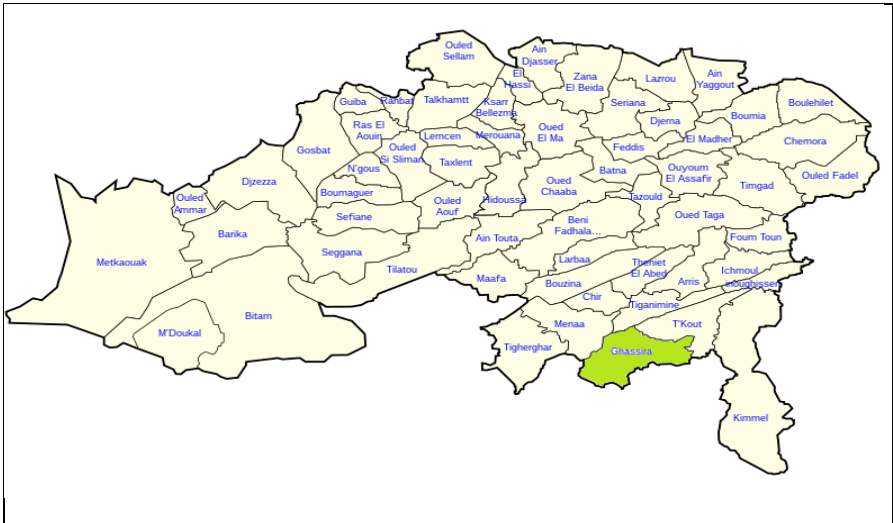
Pierre Bourdieu .La sociologie de l'Algérie .Que Sais-Je?

Yusfi Ahmed 26 Brir, 2020 .(işüđaf Yer iYuşar) .Yezza Nacer (Yuŧi , Awras).

Yusfi Mestfa 5 .Mayyu, 2020 .(işudaf Yer IYuşar) .Yezza Nacer (المحاور ، Yuŋi ، Awras).

الملاحق:

التقسيم الإداري لبلديات ولاية باتنة وتظهر في الصورة جنوب الولاية بلدية غسيرة بالنون الأخضر.



https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Dz_-_05 : الصورة مأخوذة من :-